جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 39 / آذار 2024

الاستعارة القرآنية في خطاب المؤنث

Quranic Metaphor in Feminine Discourse

م.م حسنين عماد جاسم شبع
Asst. lec. Hasanein Emad Jasim Shabaa
جامعة الكوفة / رئاسة الجامعة
University Of Kufa / University Presidency

أ.د حازم علاوي عبيد الغانمي
Prof. Dr Hazim Allawy Abeed al Ghanimi
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
University Of Karbala / College of Education for Humanities

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الاستعارة، الخطاب، المؤنث.

Keywords: The Holy Qur'an, metaphor, discourse, the feminine.

الملخص

عرض البحث عبر موضوعاته في الكشف عن أسرار الاستعارة في خطاب المؤنث في القرآن الكريم؛ لإبراز القيمة البلاغية للخطاب وأثره في تماسك النص القرآني، عبر الوقوف على أساليب الاستعارة وبيان مدى قصديتها في الاستعمال القرآني، فضلًا عن الأداء الفني للصورة المستعارة ومدى تأثيرها في نفس المتلقي، كل تلك الآيات عبّر عنها القرآن الكريم ببنية أسلوبية أخّاذة في سبيل الوصول إلى الحقيقة وأبعادها الجمالية، وقد تركز البحث على خطاب المؤنث بنوعيه الحقيقي والمجازي في النص القرآني.

Abstract

Presenting the research through its topics in revealing the secrets of metaphor in the feminine discourse in the Holy Qur'an. To highlight the rhetorical value of the speech and its impact on the cohesion of the Qur'anic text, by examining the methods of borrowing and showing the extent of their intentionality in Qur'anic use, as well as the artistic performance of the borrowed image and the extent of its impact on the soul of the recipient. All of these verses were expressed in the Holy Qur'an with a striking stylistic structure in order to reach the truth and its dimensions. Aesthetic, the research focused on feminine speech, both real and metaphorical, in the Qur'anic text.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة واتم التسليم على المصطفى الامين محمد وآله وصحبه اجمعين.

وبعد

مما لا يخفى أنّ علم البيان من العلوم المهمة، حتى أنَّ الذكر الحكيم قد صرّح بذلك ذاكرا اياه بين آياته، فقد قال عزّ من قائل ﴿**هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [1] وقال كذلك ﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[2]. وكذا الحال في السنة النبوية الشريفة إذ لم تخف هذه المفردة بل ذكرها الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) في طيات حديثه اذ ورد عنه: ((إنّ من البيان لسحرا، ومن العلم جهلا، ومن الشعر حكما، ومن القول عدلا))[3]. والاستعارة القرآنية هي لون من ألوان علم البيان، والتي اخذت مساحةً واسعةً من الخطاب الالهي في القرآن الكريم،

فالاستعارة من الاساليب البلاغيّة التي ورد استعمالها في القران الكريم والحديث الشريف، والادب العربي بكثرة، فكان لها أكبر الأثر في إيضاح الفكرة وتوليد الصور والمعاني الجديدة، فكان من الأولى والأجدر دراستها لبحث اسرار جمالها، اذ سبقنا كثير من علماء العربية وبذلوا في ذلك جهوداً مشكورة.

ومما لاشك فيه أنّ خطاب المؤنث كان له الظهور البارز، والحضور المكثّف، والقيمة المميزة في آيات القران الكريم بألوانه المختلفة، واساليبه المتنوعة، وفنونه المتعددة من تشبيه واستعارة، وكناية ومجاز، وسنحاول في هذه البحث أن نسلّط الضوء على أوجه البيان المختلفة، واظهار ما تتركه الاستعارة من أثر على خطاب المؤنث سواء كان انساناً أو حيواناً أو جماداً، وابراز الصور الفنيّة، وما تتركها من دلالات على المعنى الذي يحمله الخطاب.

وانتظم البحث من مطلبين، ثمَّ خاتمة فيها أهم النتائج المتوصّل إليها، فقائمة المصادر والمراجع، مقدّمًا على ذلك كله:بمقدمة يشرح فيها منهج البحث فجاء المطلب الاول بعنوان (مفهوم الخطاب والاستعارة)، والمطلب الثاني (اثر الاستعارة القرآنية في خطاب المؤنث).

وكان المنهجان الوصفي والتحليلي هما المتَّبعين في هذه الدراسة، وذلك قد فرضته طبيعة الدراسة ونوعها.

أمّا المصادر، والمراجع التي اعتمدت عليها، وأفدت منها في الدراسة فكانت كثيرةً، ومتنوعة، مشددًا التثبت والتحري عند نقل المعلومة عبر المصادر والمراجع والكتب المعتبرة، وكان من أهمها: مفتاح العلوم للسكاكي، اسرار البلاغة للجرجاني، والنكت في اعجاز القرآن للرماني، والاتقان في علوم القران للسيوطي، والصناعتين لأبي هلال العسكري، وبعض كتب التفسير مثل التفسير الكبير للرازي، التبيان في تفسير القرآن للطوسي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها.

المطلب الاول: مفهوما الخطاب والاستعارة

أولاً: الخطاب

لغةً: ورد لفظ (الخطاب) عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) بمعنى مراجعة الكلام، والخطب هو سبب الأمر، والخُطبة مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خطب، ومن أراده قال: نكحٌ، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطاب[4].

وكذلك جاء في لسان العرب أنّ الخطاب ((هو توجيه الكلام نحو الغير؛ للإفهام؛ ومراجعة الكلام فيقال: قد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً، والخطاب: محاورة، وجدال، ومحاجَّة كلام. وأما فصل الخطاب: فهو ما ينفصل به الأمر من الخطاب)) [5].

وقال الجوهري (ت 393هـ) ((وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخاطبه بالكلام مُخاطَبةً وخِطاباً))[6]، وخطب، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة في الكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة[7].

مما تقدّم يظهر أنّ مفهوم الخطاب يدل على معنيين لا ثالث لهما، الاول: الحدث المجرد من الزمن أي: حدث الخطاب، والثاني: الدلالة على المسمى، أي: ما يُخاطب به، وبهذا المعنى ورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم[8]، وذلك في قوله تعالى ﴿**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾[9]، وكذلك في قوله تعالى ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[10].

في الاصطلاح: للخطاب تعريفات عديدة عند الأعلام اذ تقلبت دلالته عندهم، ولا يختلف الفكر الغربي عن الفكر العربي في ذلك، وكأن تعدد مجالات بحثه، وتنوع التخصصات التي يبحث فيها الخطاب كانت سبباً في ذلك التقلب الدلالي لمصطلحه على ما يبدو، ومهما يكن من أمر فقد استُعمل مفهوم الخطاب بمعنى اللفظ؛ اذ عرّفه الآمدي (ت 631هـ) بقوله: ((اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ))[11]، وقد عدَّ علي بن عبد الكافي السبكي (ت 771هـ) للخطاب معنيين، حصرهما في قوله: ((فحصل في الخطاب قولان

أحدهما انه الكلام، وهو ما تضمن نسبة إسنادية، والثاني انَّه أخص منه، وهو ما وجه من الكلام نحو الغير لإفادته))[12].

وقد عرّفه بدر الدين الزركشي (ت794هـ) بأنَّه الكلام المقصود منه افهام من هو مُتهيَّأ للفهم، وعرفه قوم بأنّه ما يقصد به الإفهام أعم من ان يكون من قصد متهيئاً ام لا[13].

ثانياً: الاستعارة

لغةً: وردت في لسان العرب ((استعار طلب العارية واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه ... واستعاره ثوبا فأعاره إياه))[14]، ففي الدلالة المعجميّة للفظ الاستعارة تؤكد نقل الشيء من حيازة شخص الى شخص آخر[15]، فهي بمعنى الاخذ.

اصطلاحاً: ولعل الجاحظ (ت255هـ) أول من عرّف الاستعارة فقال: ((الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه))[16].

ومن المعروف انّ الاستعارة تشبيه حذف منه أحد ركنيه الاساسيين إمّا المشبّه، وامّا المشبّه به واهم البلاغيين الذين نظروا الى الاستعارة بعمق وفهم دقيق، الجرجاني (ت471هـ) إذ قال: ((الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشبّه به فَتُعِيرُه المشبه وتجريه عليه))[17].

اذن فهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضع له، وما أُستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له، وأمّا اذا أوجزنا نقول: الاستعارة هي مجاز علاقته المشابهة[18].

المطلب الثاني: أثر الاستعارة القرآنية في خطاب المؤنث

استعمل القرآن الكريم بخطاب المؤنث الاستعارة؛ اذ ورد في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[19]، فهنا جاء خطاب القران الكريم للجمادات بالاستعارة المكنيّة، فوصفت بما يوصف به الاحياء العاقلون، إذ عبّر عن (الأرض، والسماء) وكأنهنّ من الاناث العاقلات اللاتي فهمن أمر الله وتشكلا على الهيأة التي أمرهما[20]، ثم نلحظ ضمّن خطاب الارض، والسماء بنداء العاقل المميز على لفظ التحضيض، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله (يا أرض ويا سماء) ثم جاء الامر لهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل، من قوله (ابلعي ماءك واقلعي) اذ عكست الاستعارة المكنية صورة دلالية كاشفة على الاقتدار العظيم، واستعارة مفردة (البلع) عبارة عن تغدير الماء ومروره في الارض، وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان أي ازدراده لطعامه وشرابه، و(البَلعْ) هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء مبينةً بلمسة استعارية صورة للغذاء الجامع لتقوي الأرض بالماء[21].

والاستعارة المكنيّة هنا الناتجة من حذف المشبّه به مع وجود إيحاء يدل عليها بلازم له، فإن كل من (السماء، الأرض) الواردتان في الخطاب قد تعامل معها القرآن الكريم على نحو العاقل والسامع والناطق. اذ انَّ

الإستعارة تقوم بتجسيد هذا المعنى، وتصويره بشكل يوحي الى العين كأنها تراه وكأننا نتصوّر الأرض وهي تبلع والسماء وهي تقلع عن انزال الماء، وذلك وصف دقيق لما فيه من تلوين الافكار وتوليد الصور، بما هو ملائم لطبيعة المعاني[22].

بَيد أنّ نفراً من البلاغيين اصطلح على هذا النوع من الخطاب الاستعاري بـ (التشخيص والتجسيد) الذين نرى عبرهما الجمادَ ((حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً[...] إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف الجسمانية حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون))[23]، وإن هذا النوع من الإستعارة التشخيصيّة يظفي على الموجودات والكائنات صفات بشرية، إذ إنّ التشخيص هو أن نربط في علاقة إسناديّة كلمتين ((إحداهما تشير إلى خاصيّة بشرية، والأخرى إلى جماد أو حيّ أو مجرّد))[24].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾[25]، فنجد الاستعارة في لفظة (التحريم) إذ شبّه (الصرف، المنع) بالتحريم، لانّ من حرّم عليه الشيء قد منعه وهو تحريم تكويني، لان الله منعه أنْ يرتضع من المرضعات[26]، فقد ((استعار للمنع لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه))[27]، وكذلك نجد في آية اخرى من قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَٰفِرِينَ**﴾[28] فلفظ (التحريم) استُعير للتحريم التكويني، وكذلك في الآية المباركة ﴿**وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[29]، إذ استعمل لفظ (حرام) استعارة، وعُنيّ بها المنع[30] في هذه القصة القرآنية الرائعة.

وقد أدّت الاستعارة هنا وظيفتها المنوطة بها، إذ قدّمت للمتلقي صورة حسيّة للفظ (حرّمنا) وهي مفهوم بعيد عن الحس؛ إذ قرّب الخطاب الإلهيّ المشهد من الفهم، مستنداً على ما تمدّه الاستعارة للتركيب من طاقة إيحائية، يستطيع المتلقي معها تخيّل المنع والصرف، فنلاحظ في هذه القصة القرآنية حوادث واقعة رُسمت بريشة الفن البياني في أبهى صورها وأجمل أشكالها؛ لغرض التأثير في نفس المتلقي مما سيجعله متفاعلاً مع هذه القصة[31].

وللأثر النفسي دور مهم، وفاعل في القصص القرآني؛ فإنَّ ((الأثرَ النفسيَّ للصورةِ عند المتلقي يعدُّ أهمَّ شيءٍ فيها، إذ إنّها تقصدُ إثباتَ الخيالِ في النفسِ، والصورة الفنيّة هي العنصر الأساس في تكوين مفهوم واضح للأسلوب، لأنّها مجموعة العلاقات اللغويّة والبيانيّة والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى))[32].

وفي قوله تعالى ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾[33]، فالاستعارة اللطيفة التي وظفتها الآية الكريمة في تصوير العلاقة الحميميّة بين الرجل والمرأة قد جاء فيها التصوير في غاية الروعة والإبداع، اذ سلكت الآية مسلكاً أفاض عليها كِساء البهاء، والجمال؛ اذ شبّه المرأة باللباس الذي يزيّن الإنسان ويستر ما قبح منه، ولولا اللباس لبدتْ سوأةُ كل منها وكان هذا المنظر بغاية القبح والنفور، فنلاحظ روعة الجمال في التصوير البياني للقرآن الكريم؛ إذ أفضى الى أجمل صور، الجلال والجمال من حيث سلاسة الألفاظ، والمعاني التي تحمل معنى العفاف[34].

ومن الاستعارات البيانيّة قوله تعالى ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[35]

فنلاحظ حضور الاستعارة في خطاب المؤنث بشكل لافت عبر خطابه عزَّ وجل للجمادات التي لا تعقل ولا تعي الخطاب أو إدراك الامر، ولك ((ان تقول إنّ الله قادر على أن يخاطب الجماد، ويجيب ذلك الجماد، [...] لأنه في العموم خطاب لمن لا يعقل ولا يجيب ولا يسمع ولا يتكلم، وإن سمع، وأجاب وامتثل على سبيل الإعجاز))[36] فالمراد بذلك هو الإخبار عن عظيم قدرة الله جل شأنه، ونفاذ تدبيره في خلقه.

فالإستعارة في قوله تعالى (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) فالاستواء هو (المستعار)، وكل جسم مستوٍ (المستعار منه) والمستعار له (هو الحق عز وجل)[37]. فهنا يكون ايراد الكلام على ألسنة الجمادات واستجابتها للأمر على سبيل الاستعارة التمثيليّة[38]، ففي ((تعبيرها اشاعة الحياة في الجماد، وافاضة الحركة عند الكائنات، وكأنها ناطقة تتكلّم، ومكلّفة تمتثل، وقادرة تتصرّف))[39].

ومن الاستعارات قوله تعالى ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾[40].

فمن الاستعارة التمثيليّة أيضاً ما جاء في خطاب النملة لإخواتها ((كأنّها، لما رأتهم متوجهين إلى الوادي، فرّت عنهم، مخافة الهلاك، فتبعها غيرها، وصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها. فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم، ولذلك أجروا مجراهم، حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا له))[41] فجعل قولها (المشبّه) والنمل مقولا لهم، كما لو كان خطابها للعقلاء، وبمعنى آخر كان خطابها تحذيراً لهم اي ((لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم))[42] فالاستعارة هنا ثنائية الوجه على فرعين الأول تشبيه خطاب النملة وهي استعارة تمثيلية، والآخر استعارة مكنيّة اذ حذف المشبه، وأبقى على شيء من لوازمه.

فإنّ للإستعارة جمالها ورونقها، ووقعها الجميل في نفس المتلقي بإعتبارها ((مخزن لطاقات شعوريّة متفاعلة نشطة متحركة غير ساكنة))[43]، وقد كشفت عن القيمة البيانيّة للأساليب، ومدى مطابقته للسياق الذي وردت به.

فالإستعارة لها أفق واسع في التعابير والأساليب الفنيّة لدى العرب عامة، وفي القرآن الكريم بخاصةً. ((فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمّى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً لها أو مشاكلاً))[44]، وتتكرر الاستعارة التمثيليّة في آية أخرى بصياغة مختلفة وتعابير متنوعة ومشاهد بيانية لطيفة في قوله تعالى ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[45].

فنجد الإستعارة في موضعين (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ)، وكذلك في عرضها (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ)، فشُبهتْ حالة صرفِ تحميل الأمانة عن السماوات والأرض والجبال، ووضعها في الإنسان، بحالة من يعرض شيئاً على أناس فيرفضه بعضهم ويقبله واحد منهم[46]. هنا يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبتها، بأنها عرضت على السماوات والارض والجبال مع عظمتها، وقوة متانتها، فأبين من حملها، بسبب عدم مقدرتهن، لذلك استعير التركيب الدال على المشبه به، للمشبه استعارة تمثيلية جميلة.

وتؤدي الاستعارة هنا وظيفتها المنوطة بها إذ تقدم للمتلقي صورة حسيّة لـ(الأمانة) وهي مفهوم بعيد عن الحس، وعبر الصورة يقرّب الخطاب الإلهيّ المشهد من الفهم، مستنداً على ما تمدّه الاستعارة للتركيب من طاقة إيحائية، يستطيع المتلقي معها تخيّل عرض الأمانة على السموات والارض والجبال مع العظمة التي لديها لكنها وقفت موقف الحيرة من هذه المهمة العظيمة.

أمّا حديث الأمانة، وعَرْضِها على السماوات، والأرض والجبال فهي إستعارة بمعنى (الطاعات) ((كأنها راكبة للمؤمن وهو حاملها ألا تراهم يقولون: ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها))[47]، وهذه الاستعارة تمثيل لعَرض الاستعدادات لدى الانسان، فالأمانة التي أشفقت من حملها وهي أمرٌ عظيم وكبير، ليتم ترتيب الجزاء على العمل من قِبل الله جلَّ عُلاه، فالإنسان أكثر استعداداً وأقوى قابليّة لحَمل الأمانة، وهي من ودائع الله التي أَودَعها للإنسانَ لقابليّته على حملها[48]، فالانسان هو المتلقي الوحيد بوصفه حاملاً للعقل من بين جميع الكائنات لحمل لتلك الأمانة التي عجزت السموات والأرض والجبال عن حملها[49]، فالفائدة البيانيّة للإستعارة في الآية المباركة هي لتعظيم أمر هذه الأمانة وتصوير تأثير قدرته فيهما، وتمثيل ذلك بحالة الأمر المطاع لهما واجابتهما للهِ بالطاعة فرضاً وتخييلاً من غير تحقق شيء من الخطاب والجواب؛ فتخصيص السماوات والأرض بالذكر عمّن سواها لأنها من عجائبه وإبداع خلقه جلَّ علاه[50].

وكذلك في قولهِ تعالى ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[51] ففي ختام الآية المباركة من سورة الفجر يأتي نداء الله عزَّ وجل الى النفس الواثقة المطمئنة بصنع الله جل علاه، راضية بما قدّر الله لها من الجزاء العظيم، مرضية من الله لجميل عملها وأداء واجباتها[52]، فالخطاب الى النفس بالبشارة اليها جزاءً لها لاتباعها والتزامها بالتعاليم الصادرة من القرآن الكريم، فأنَّ لفظ ((ربك جرى على مقتضى الظاهر وعطف فادخلي في عبادي عطف تلقين يصدر من كلام الله تعالى تحقيقاً لقول الملائكة (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) والرجوع إلى الله مستعار للكون في نعيم الجنة التي هي دار الكرامة عند الله بمنزلة دار المضيف))[53]، اذ شبّه للنفس صورة المنزل في الجنة لإستحقاقها ومكافأةً لها على أعمالها الصالحة.

فهنا نشاهد جمالية الفن البياني ودقته في خطاب المؤنث ((لأنها قائمة على نقل الاسماء أو الصِّفات من مواضعها، وإضفائها على غيرها، استناداً الى أنّ خيال الأديب يسمح له بهذا النقل، إمّا للشبه بين المنقول منه والمنقول إليه، أو للتجاور، أول للإرتباط السببي، أو لغير ذلك))[54].

كان للاستعارة في الآية المباركة صورة جميلة ورائعة، والأمر في ذلك يرجع إلى أنها قامت بإظهار المعنى المحسوس في صورة المعقول فأكسبته القوة، والوضوح، وجعلت النفس تأنس به، ولا تشك فيه.

وفي قوله تعالى ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[55].

تطالعنا الإستعارة اللطيفة (لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) فقد شبّه ما قذف الله عزَّ وجل في فؤادها من الصبر، برط الشيء المنفلت خشية ضياعه، وكذلك نرى الاستعارة التصريحيّة في لفظ (الربط) قد استعملت للصبر على الشدائد، ((والمعنى: لولا أنَّ ثبتناها وألهمناها الصبر لصاحب: ذهب ابني، فأنكشف أمرها أمام فرعون))[56].

وزبدة المخاض في هذه الرحلة مع الآيات المباركة التي احتوت على الاستعارة، نجد انَّها من أفضل السبل التي تعمل على خلق صور تجعل المعقول محسوساً؛ فهي تقوم على الاستدلال، والتشابه، فتعمل على إثارة عواطف السامع، لأنَّ الحقائق مجردة، والتعبير الاستعاري في القران يشخّصها، ويجسدها، ليعطيها روعة التعبير، وبلاغة الايجاز، وذلك بتحويل المعاني والصور الذهنية الى وجود خارجي يدركه الحس ويتفاعل معه ويصدّقه.

النتائج

لقد سعى البحث في مطالبه إلى الكشف عن القيمة البلاغيّة لخطاب المؤنث، وأثرها في ترابط النّص القرآني المحكم، فتتبعت هذه الدراسة خطاب المؤنث بنوعيه (الحقيقي والمجازي) في القرآن الكريم، وبيان الملامح البلاغيّة، واللطائف البيانيّة الاستعارية، من خلال تسليط الضوء على هذا الخطاب.

وقد تبيّن من خلال الدراسة أنّ الأساليب البلاغيّة ليست أمراً ثانوياً في رسم المعنى، بل هي تسهم إسهاماً فاعلاً في صوغ المعنى وتقويته، وأنّ الخطاب القرآني قد تنوع في خطاب المؤنث بين الحقيقي والمجازي، وأنّه شكّل طريقة فاعلة في بناء المعنى، وتشكيل أنماط إيحائية قوية، ومؤثرة.

انّ التنوع الحاصل في انواع الاستعارة القرآنية اضفى سمة بلاغية فنية متنوعة، وشت الكلام بأناقته ورونقه وسحره، وأضفت عليه من ألقه وحققت الى جانب الجمال المتعة، وأدت وظيفة على مستوى مخاطبة عقل القارئ، وعواطفه، والاستحواذ على الانتباه وضمان التأثير، وحدث كل ذلك بفضل التحولات الاستعارية القرآنية في ثنايا الخطاب الالهي المحكم.

الهوامش:

1 – سورة آل عمران الاية: 133.

2 – سورة الرحمن الاية: 1–4.

3 – بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان (د.ط)(د.ت) : 1/ 218.

4 . ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ط)(د.ت)، مادة (خطب) 222/4.

5 – لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2005 م ، وكتاب العين، مادة (خ ، ط ، ب): 252.

6 – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، (ط4) 1407 هـ – 1987 م، مادة (خطب): 1/ 121.

7 – ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط1)، 1419 هـ – 1998 م، مادة (خطب): 1/ 255.

8 – ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني قراء تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة، (ط1)، 2014م: 73.

9 – سورة ص من الآية: 23.

10 – سورة ص من الآية: 20.

11 – الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، (د.ط)(د.ت): 1/ 95.

12 – المصدر السابق: 74.

13 – ينظر: البحر المحيط في اصول الفقه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي –القاهرة، (ط1)، 1994م: 1/ 168.

14 – لسان العرب: مادة (عور): 4/ 612.

15 – ينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، (ط3): 2003 م: 192.

16– البيان والتبين: 153/1، 284، والحيوان: 280/2 – 283 .

17– دلائل الاعجاز: 53 .

18 – ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: 267.

19 – سورة هود الاية 44.

20 – ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 1/ 476–477.

21 – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 312، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، (ط4) 1415 هـ: 4/ 366–367.

22 – ينظر: الوصف في القران الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الامير (اطروحة دكتوراه) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب 2002م: 160.

23 – أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د.ط) (د.ت): 43.

24– في النص الأدبي– دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، (ط3)، 2002م: 190.

25 – سورة القصص الآية: 11–12.

26 – ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 7/ 5، والتحرير والتنوير: 20/ 83.

27 – الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط3): 1407 هـ: 3/ 396.

28 – سورة الاعراف من الآية: 50.

29 – سورة الانبياء: 59.

30 – ينظر: متشابه القران الكريم، عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار الهمذاني، تحرير: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، (د.ط) 2017م: 25.

31 – ينظر: القصص القرآني على منصة التحقيق، الشيخ محمد هادي معرفة (بحث)، نقلاً من موقع (مركز الاشعاع الاسلامي): www.islam4u.com/

32 – الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، (د.ط) بغداد 1981م: 37.

33 – سورة البقرة من الاية: 178.

34 – ينظر: الإبداع البياني في القرآن العظيم، الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية– بيروت، (ط1) 2006م: 35.

35 – سورة فصّلت الاية: 11.

36 – مجاز القرآن خصائصه الفنيّة وبلاغته العربيّة، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، لبنان، (ط1) 1420هـ: 127.

37 – ينظر: اعراب القران وبيانه: 8/ 537.

38 – ينظر: الزمخشري – المفسّر البليغ، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية– بيروت، (د.ط) 1994م: 155.

39 – دلالة الألفاظ في القرآن الكريم بين الحداثة والتراث، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الحكمة– مؤسسة البلاغ، بيروت– لبنان، (ط2) 2018م: 276.

40 – سورة النمل الآية: 18.

41 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1)، 1415 هـ: 10/ 171، والجدول في إعراب القرآن الكريم: 19/ 155.

42 – ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 3/ 356.

43 – البلاغة القرآنية في نكت الرمّاني، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، المنهل للطباعة والنشر، (د.ط) 2014م: 223.

44 – مشكل القرآن، الدكتور عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي– الدمام، (ط1) 1426هـ: 76.

45 – سورة الاحزاب الآية: 72.

46 – ينظر: التحرير والتنوير: 22/ 125.

47 – إعراب القرآن وبيانه: 8/ 58.

48 – ينظر: في ظلال القرآن: 5/ 2881.

49 – ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ط): 11/ 762.

50 – ينظر: التحرير والتنوير: 22/ 125–126.

51 – سورة الفجر الاية: 27–30.

52 – دلالة الألفاظ في القرآن الكريم بين الحداثة والتراث: 247.

53 – التحرير والتنوير: 30/ 341.

54 – البلاغة العربية أُسُسها، وعلومها، وفنونها: 1/ 93.

55 – سورة القصص من الآية: 10.

56 – الإبداع البياني للقرآن العظيم: 240.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (المتوفى: 982هـ)، دار احياء التراث العربي بيروت– لبنان، (د.ط)، (د.ت).
2. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط1)، 1419 هـ – 1998 م، مادة (خطب).

3. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د.ط) (د.ت).
4. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، و(دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، (ط4) 1415 هـ.
5. الإبداع البياني في القرآن العظيم، الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية– بيروت، (ط1) 2006م.
6. الإبداع البياني في القرآن العظيم، الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية– بيروت، (ط1) 2006م.
7. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، (د.ط)(د.ت).
8. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، (د.ط)(د.ت).
9. البحر المحيط في اصول الفقه، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي –القاهرة، (ط1)، 1994م.
10. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (ط1)، 1416 هـ – 1996 م.
11. البلاغة القرآنية في نكت الرمّاني، عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، المنهل للطباعة والنشر، (د.ط) 2014م.
12. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ط).
13. الزمخشري – المفسّر البليغ، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية– بيروت، (د.ط) 1994م.
14. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، (ط4) 1407 هـ – 1987 م.
15. الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، (د.ط) بغداد 1981م.
16. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط3): 1407 هـ.
17. الوصف في القران الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الامير (اطروحة دكتوراه) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب 2002م.
18. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان (د.ط)(د.ت).

19. جمالية الخطاب في النص القرآني قراء تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة، (ط1)، 2014م.
20. خصائص التعبير القراني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط1) 1992م.
21. دلالة الألفاظ في القرآن الكريم بين الحداثة والتراث، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الحكمة– مؤسسة البلاغ، بيروت– لبنان، (ط2) 2018م.
22. دلالة الألفاظ في القرآن الكريم بين الحداثة والتراث، الدكتور محمد حسين الصغير، دار الحكمة– مؤسسة البلاغ، بيروت– لبنان، (ط2) 2018م.
23. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، (ط3)، 1413هـ – 1992م.
24. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1)، 1415 هـ: 10/ 171، والجدول في إعراب القرآن الكريم.
25. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، (ط3): 2003 م.
26. في النص الأدبي– دراسة أسلوبية إحصائية، د.سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، (ط3)، 2002م.
27. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، (ط 17) 1412 هـ.
28. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ط)(د.ت).
29. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2005 م، وكتاب العين، مادة (خ، ط، ب).
30. متشابه القران الكريم، عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار الهمذاني، تحرير: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، (د.ط) 2017م.
31. مجاز القرآن خصائصه الفنيّة وبلاغته العربيّة، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، لبنان، (ط1) 1420هـ.
32. مشكل القرآن، الدكتور عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي– الدمام، (ط1) 1426هـ.
33. القصص القرآني على منصة التحقيق، الشيخ محمد هادي معرفة (بحث)، نقلاً من موقع (مركز الاشعاع الاسلامي): /www.islam4u.com